

كتاب التوحيد (3)

الدرس الخامس



عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: {خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته} قال ابراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة

والعهد ونحن صغار

قرنه ﷺ الذي بُعث فيهم وهم الصحابة رضي الله عنهم والصحابة هم خير القرون وليس بعد الأنبياء خير من صحابة رسول الله ﷺ والصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك

الصحابة

التابعون

أتباع التابعين

القرون المفضلة

يبقى الخير في هذه الأمة إلى أن تقوم الساعة كما قال ﷺ لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى فيبقى هؤلاء الصنف من الناس مستقيمين على الحق ظاهرين في مكانتهم وقدرهم عند الناس وعند الله سبحانه وتعالى ظاهرين ومنصورين على عدوهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم في أمور الدين وأمر الاستقامة حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى في نهاية هذه الدنيا وقيام الساعة فهذا فيه البشارة من الرسول ﷺ أن الخير باق في هذه الأمة وأن، هذه الأمة مهما تكالب الأعداء عليها ومهما كُثر مخالفتها ومهما كُثر الذين يريدون التغلب عليها فإن الله يُظهرهم ويحميهم ويمدّهم بنصره وإعانتته من أجل أن يبقى هذه الدين

أربعة قرون تأتي بعد رسول الله ﷺ فيها الفضل وهم صدر هذه الأمة وقُدوتها ثم بعد ذلك تُفتح عليهم الدنيا تكثر الفتن والشرور يكثر النفاق فحينئذ يحصل الخليط الكثير في الأمة من أجناس هابطة أو قليلة الفضل وكل ما يتأخر الزمان يحصل هذا الوصف للناس إلا من رحم الله

لقوله تعالى: ﴿واحفظوا أيمانكم﴾ قيل معناه لا تحلفوا، وقيل معناه لا تحلفوا على الكذب ولا تستهينوا بالكذب ولا تُكثروا من الأيمان إلا عند الحاجة مع الصدق في اليمين

المسألة الأولى: الوصية
بحفظ الأيمان

في هذه الباب
مسائل:

الإخبار من الرسول ﷺ بأن الحلف يحصل به نفاق السلعة ورواج السلعة لأن الناس يُصدقون صاحبها إذا حلف أنها من الصنف الفلاني ومن الجيد، أو أنه اشتراها بكذا أو أنها سيمت منه بكذا وكذا، يريد ترويجها ويريد نفاقها، فهذا يدل على استهانتها باليمين ويدل على ضعف توحيده

المسألة الثانية: الإخبار
بأن الحلف منققة
للسلعة محقة للبركة

في هذه الباب
مسائل:

المسألة الثالثة : الوعيد
الشديد فيمن لا يبيع إلا
بيمينه ولا يشتري إلا بيمينه

الوعيد الشديد : لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا
يزكيهم ولهم عذاب أليم ، هذه أنواع من الوعيد على من استهان
بالحلف بالله عز وجل واستخدمها لأجل أمور الدنيا وآثر الدنيا
على الآخرة

المسألة الرابعة : التنبيه
على أن الذنب يعظم
مع قلة الداعي

أن الذنب يعظم مع قلة الداعي ، الأشيبت فليس عنده داع للزنى ولكنّه
يُحب الزنى وهو في هذه السن ، فهذا دليل على قلة ورعه وقلة دينه

المسألة الخامسة : ذم
الذين يحلفون ولا
يُستحلفون

ذم الذين يحلفون ولا يُستحلفون يعني لا تُطلب منهم اليمين بل يُبادرون
بها من غير طلب وهذه دليل على استهانتهم بها وعلى نقصان توحيدهم

المسألة السادسة :
ثناءه ﷺ على
القرون الثلاثة أو
الأربعة

ثناءه ﷺ على القرون أي الأجيال الثلاثة وهم الصحابة والتابعون وأتباع
التابعين ، والقرون المفضلة في أنها أقرب الى وقت الرسول ﷺ وإلى أهل
الفضل والإيمان والصدر الأول فهذه هي القرون المفضلة التي يكثر فيها
الفضل والاستقامة والتوحيد ثم بعدهم يتغير الأمر ويختلط الأمر ولكن لا تزال
طائفة من أهل الحق ومن أهل الدين إلى أن تقوم الساعة كما أخبر النبي ﷺ

المسألة السابعة :
ذم الذين يشهدون
لا يُستشهدون

ذم الذين يُؤدون الشهادة قبل أن تُطلب منهم فهذا دليل على تهاونهم في
أمر الشهادة ولكن إذا خشي أن يضيع الحق ولا يعلم أن عنده شهادة فإنه
يتقدم بها لأجل أن يحفظ الحق لصاحبه ويؤدي الأمانة التي ائتمنه الله
عليها وهي الشهادة بالحق.

المسألة الثامنة : كون
السلف يضربون الصغار
على الشهادة والعهد

قال ابراهيم النخعي رحمه الله وهو من كبار التابعين : كانوا (أي
السلف الصالح) يضربوننا أي يضربون الصغار على الشهادة والعهد
لأجل أن يُربوهم على تعظيم التوحيد والشهادة وأمر الدين وأما من
ضيعوا ذريتهم ولم يُربوهم على الخير تركوهم للأشرار فهؤلاء خانوا
الأمانة التي ائتمنهم الله عليها ومن ذلك أن لا يدخلوا وسائل الشر إلى
بيوتهم بين أولادهم ينظرون إليها فيتأثرون بها وتكون بيوتهم مصونة
من هذه الوسائل الشريفة والشبكات الفاسدة التي تُفسد الذرية وتُفسد
النساء وتُفسد من في البيوت وهم أمانة في عنق صاحب البيت لأن
صاحب البيت مُؤتمن على من فيه قال جل وعلا : ☐ يا أيها الذين
ءامنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ☐